تعالى [illegible] تهييج للتشديد في مخالفتهم **واما قوله تعالى** فان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الاية
فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اخرون المخاطب غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا
على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره
كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى
ابن مريم عليهما السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير
جمع فاذا اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه
الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم **الثاني** قال الفراء علم الله
تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده
ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني **الثالث** انه يقال لضيق
الصدر شاك يقولان ضقت صدرا بما تعالى من تعنتهم واذاهم فاصبر
واسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبيا على اذى قومهم
وكيف كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في
الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيه او لتهييج الرسول عليه السلام
وزيادة تثبيته او يكون على سبيل الفرض والتقدير لامكان وقوع الشك
له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية والله لا اشك ولا اسأل
واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره
ان الناس كانوا في زمانه عليه السلام فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون
له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب
فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فسل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا
مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك
كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه
فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان
يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بايات
الله فتكون من الخاسرين **واما قوله تعالى** والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك

او

او يكون المراد قل لمن امترى يا محمد لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم
يخاطب به غيره وقيل غير ذلك **واما** قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن
ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من
صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا
في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل على كونه على تلك الصفة
التي نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو بكر مكي قال ومثله في القران كثير **وكذلك** قوله تعالى
وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله
ان يشا الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد
غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا
والله تعالى ينهاه عما يشا ويامره بما يشا كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين **واما قوله تعالى**
وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا غافلون
وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط فلم تعلمها الا بوحينا **واما قوله تعالى** واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم
والنزغ ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه
ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله هو الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهره
لديه كما قدمته في المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته **واما قوله تعالى** وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاحسن ما قيل فيها ما عليه

King Saud University
Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)